في محنة الحكم على الآخرين أفكار شخصية لقاضية سابقة

ليا وُرد سيرز *

أشكر الداعين لهذه الْمُحاضرة، كما أشكُرُ الذين بادروا للحضور. إنها مقدمة متواضعة، وأنا يشرّفني أن أكونَ في بلادكم الجميلة. لقد نشأتُ في مدينة سفانا الساحلية بولاية جورجيا بالولايات المتحدة؛ ولذا فأنا لا أستطيع التعبير عن مدى فرحتي وسروري أن أكون مَحوطة بهذه السواحل الرائعة والمياه الرائقة، وقد جلبتُ معي ثناءً عاطراً من رفاقي في معهد القيم الأميركية، وكما قد تعرفون فنحن في المعهد مجموعة مدنية خاصة للعمل التطوعي، ونحن مقتنعون بأنّ جزءًا كبيراً من صدقيتنا -باعتبارنا مثقفين- إنما يتعلّقُ بعملنا من أجل الأسرة الأميركية، والمجتمع المدني ودور الدين في الحياة العامة. وأنا مقتنعةٌ حقيقة بميزة عدم الارتباط بحزبٍ سياسي أو جهة حكومية، مما يدفع بجهودنا بالمعهد إلى آفاقٍ واعدةٍ في مجال تطوير العلائق بكم وبدولتكم، وتعميق سُبُل التفاهُم بين عالمَينا.

يوم الأحد الماضي -في الرابع من أبريل- احتفلت عائلتي -مثل العديد من الأُسَر حول العالم- بعيد الفصْح، وهو عيدٌ مقدَّسٌ لدى المؤمنين بالدين المسيحي؛ لأنه يحتفي بقيامة السيد المسيح، وقد كبر أولادي الآن (بحيث ما عدنا نحتفل بالفصح معاً)، فابني عمره 26 سنة، وهو يعمل لشركة اتصالات ومقرُّه الآن بجزيرة موريشيوس، أمّا ابنتي فهي في الثالثة والعشرين من عمرها، وتعمل في «فرَق السلام»، ومقرها الآن في جمهورية الدومينكان. وبسبب ذلك فقد ذهبت وانقضت شعائر الطفولة ومشاعرها، والتي كانت تُميِّز هذا العيد، وأعني بذلك تكسير بيض العيد المسلوق والمِلوَّن، وأرنب العيد الغامضِ دائماً، والذي ينجح في كلّ مرةٍ في أن يملأ سلال الأطفال بقطع الحلوى، ولا أظن أنّ أولادي - حتى عندما كانوا صغاراً- كانوا يصدّقون الحكايات المصنوعة إعداداً للعيد، كما أنني ما صدّقْتُ شيئاً من ذلك أيضاً. ولا شكَّ أنّ ذلك كلَّه سوف يبدو عبثياً بالنسبة لكم أنتم الذين لم تنشأوا في تقاليد عيد الفصح واحتفالاته؛ إنما وعلى أيّ حال، ففي منزل أهلي، ثم في منزل أُسرتنا، فإنّ قصة الفصح كانت هي القصة الدينية المحيطة بتجارب الحياة وعبَرها، قصة الخديعة التي تتلوها التوبة ويتلوها العفو، وقصة الحزن والتضحية والأُضْحية، والتي تتلوها الولادة الجديدة والقيامة. وما تزال القصة تبدو حقيقية في مغزاها من وجهة نظري اليوم. إنها جزءٌ من الإيمان والمعنى العميق للوجود، وهي على كلّ حال أساسيةٌ في قناعاتي وفي طريقة فهمي لوظيفتي في هذه الدنيا، وكيف أحيا. نحن نتشارك معاً في الإيمان بالإله الخالق، وإن اختلفْنا في طرائق الإيمان، وفي الواقع قد لا يذهبُ كثيرون

منكم هذا المذهب في فهم المسائل، وصحيحٌ أنّ ذكرى الفصح دفعتني للتفكير في اختلافاتنا؛ لكنها أيضاً دفعتْني للتفكير في المشتركات، وكيف يمكن مدُّها وتوسيعُها.

يقول الأكاديميون: إنّ الحاكم الروماني يوليوس قيصر هو صاحب العبارة المشهورة: «التجربة هي خير معلمٍ في شتى الأمور»، وقد قال الرئيس الأميركي باراك أوباما في خطابه التاريخي في يونيو الماضي: إنه يسعى لبدايةٍ جديدةٍ في العلاقات بين الولايات المتحِدة والمسلمين، ومن ضمن أهداف تلك البداية مكافحة العنف والتطرف المنتشر في العالم. ويمكن القول: إنّ اقتناع الرئيس أوباما بإمكان ذلك ناتجٍ عن تجاربه؛ فالسيد أوباما مسيحي؛ لكنّ جدَّه لأبيه في كينيا كان مسلماً، وعندما كان طفلاً عاش في إندونيسيا لفترة حيث تعلَّم القرآن، واعتبر الأذان- أي الدعوة إلى الصلاة- «أحد أروع الأصوات التي سمعها في حياته عند الغروب»؛ ولذا فإنَّ خبرته علّمتْهُ أنّ مبادئ العدالة والتقدم والتسامح والكرامة الإنسانية هي مبادئُ مشتركةٌ بين المسيحيين والمسلمين، وأنا أُوافق الرئيس أوباما في ذلك. فهذه المبادئ هي خارطة الطريق لدينا من أجل الفهم المتبادَل وعلاقات الإرادة الطيبة والسلام. على أنَّ هذا الانطباع صعبٌ الإقناعُ به الآن سواء في الولايات المتحدة أو في الخارج. صحيحٌ أنّ الولايات المتحدة صارت موطناً لأعدادٍ متزايدةٍ من المسلمين والهندوس والبوذيين وحتّى الملحدين؛لكننا نظلُّ في غالبيتنا الساحقة مسيحيين، وهناك أميركيون كثيرون يرون بلادنا-كما يرون العالم- من خلال هذه الرؤى؛ إنما نحن - الأمة الأميركية- نذكّر أنفسنا دائماً أنه من ضمن قيمنا الرئيسة قيمة التسامح تُجاه ما هو مختلفٌ. لكنّ أهمَّ إشكاليات نزعة التسامح هو الخوف- الخوف من التغيير، والخوف من الآخرين المُغايرين لنا، والخوف أخيراً مما لا نفهمُه، وتأثير ذلك على دواخلنا. وعلى سبيل المثال؛ ففي حديقةٍ عامةٍ ليست بعيدةً عن منزلي هناك مقعدٌ مستطيلٌ من الجرانيت محفورٌ عليه اسم آدم شلبي وايت، وفي طفولته كان آدم يلعب بالكرة في الحديقة، ويتسلّق الجدران المؤدية إلى مأوى القرود، وعندما تخرج في الكلية ذهب للعمل في برج التجارة العالمي بنيويورك لحساب إحدى الشركات، وكان في السادسة والعشرين من عُمُره- تماماً في مثل عُمر ابني الآن- عندما جرى نسْفُ البُرجين، وذهب آدم وثلاثة آلاف إنسان آخر ضحايا تلك العمليةِ الفظيعة. وما يزال أميركيون كثيرون حتى اليوم يربطون وجوهَ أولئك الإرهابيين الذين قضَوا على تلك النفوس البريئة بالإسلام، هذه هي تجربتُهم مع الإسلام، أياً تكن محدودية تلك التجربة وانحيازاتها التي لا يمكن إنكارُها، وإذا أردْنا أن نغيّر هذه الإدراكات يكونُ علينا أن نعمل معاً لصنع تجارب جديدة يراها الأميركيون، وتُرى في سائر أنحاء العالم.

على أنّ صورة الولايات المتحدة -باعتبارها حاملةَ راية العدالة وحقوق الإنسان والتسامح في العالم- عانت أيضاً مُعاناةً شديدة، ففي بعض البلدان-ومنها بلدانٌ في هذه الرقعة من العالم- يبدو الأميركيون مُثيري عنفٍ وحروب، وغلاظ، ومدمِّري أوطان، وهذا مفهومٌ إلى حدٍّ ما؛ إذ عندما تخوضُ حربين، وتضعُ نفسَك في قلب النزاع الإسرائيلي الفلسطيني؛ فإنك ستخلُقُ لنفسك عداواتٍ وأعداء. ثم إنّ انهيار النظام المالي العالمي ما

كلف ملايين الأسَر الأميركية تكاليف عالية وحسْب؛ بل إنه اجتذب عشرات الاقتصادات من حول العالم باتجاه الهاوية، هذا كله يشير إلى العلائق القوية بين عالمينا ومشكلاتنا (نحن والمسلمين)، وأنا أكرهُ الاعتراف بذلك؛ لكنْ لا شكّ في أنّ الأميركيين تسبَّبوا في الكثير من المشكلات لأنفُسهم، فقد اعتنقْنا أفكارَ الاقتصادِ الحُرّ، والقروض السهلة والسخية والتنافُسية القوية والجشع، ونحن نُعاني من ذلك كُله الآن. لقد اقتنيا أكثر بكثير مما نحتاج، لقد أرْدْنا أن نتملَّك وأن نقتني، أياً تكن السلْعة المقتناة (بالوهم أو بالحقيقة). وهكذا بلغ دَينُنا الآن حوالي الـ12 تريليون دولار وهذا هو الحدُّ الأعلى للدَين الوطني في كل تاريخنا، كما أنه يُهدّد سلامتَنا وأمْننا، وقد أخرج ذلك عائلات أميركية كثيرة وكثيرة جداً من التاريخ ومن العمل ومن الشارع ومن حظوظ الحياة الكريمة. ووحدها الأمم والدولُ التي تكسبُ بعقلانية وتُنفق بعقلانية جديرة بأن تحتفظِ بقوتها واستقلالها. إننا نعود الآن لتجربةٍ عسيرةٍ وطريقٍ صعبة لتعليم أبنائنا الرزانة والشفافية وشروط الكفاءة والنجاح، ولا أستطيع أن أتجنَّبَ التفكير في أنه كم كان من الممكن أن تكون حياتنا وأوضاعُنا أفضل اليومَ لو أننا تذكرنا مقولة أحد الآباء المؤسِّسين -بنيامين فرانكلين- قبل مائتين وخمسين عاماً، بشان محَن السقوط في وهاد الدَّين والعجز المالي. قال بنيامين فرانكلين: الأغبياءُ هم الذين يقيمون المآدب والولائم، والحكماء هم الذين يلتهمونها!

على أنني -واستناداً إلى تجربتي باعتباري امرأةً إفريقية/أميركية، وقاضية رئيسة سابقة في المحكمة الدستورية على مستوى الولاية التي كان يسودُها التمييز والتفرقة العنصرية - ما أزالُ أؤمنُ بأنّ الولايات المتحدة هي بيئةٌ للعدالة والتقدم والتسامُح والكرامة الإنسانية، ولولا هذا الإيمان المستند للتجربة ما كنتُ أقفُ بينكم اليومَ، وهذا الاقتناع يمتدُّ من توماس جفرسون-الذي كتب مسوَّدة إعلان الاستقلال الأميركي- وإلى قدّيس الحقوق المدنية الدكتور مارتن لوثر كينغ. قادةُ بلادنا هم الذين دوَّنوا في الدستور الأميركي مقومات الروح الأميركية القائلة: إنّ «البشر يولدون متساوين»، وقد «فُطروا من جانب خالقهم على حقوقٍ لا تتزعزع»، وهي تتضمن «الحياة والحرية، والسعي لتحقيق السعادة». وقد سادت تلك المبادئ في مؤسساتنا: مدارسنا، وإدارتنا، ومؤسستنا القضائية، بحيث يتوقع ويرى كُلٌّ منا أن يُعامَل بمساواةٍ وعدالةٍ، بغضّ النظر عن النوع والجندر والإثنية والدين والأصول الاجتماعية/الاقتصادية. ففي الوقت الذي تأسستْ فيه الدولة الأميركية كان السودُ -مثلي- عبيداً، أمّا النساءُ بينهم -مثلي أيضاً- فقد كنّ رقيقاً مستملكاً. وينسى البعضُ اليوم أنّ الأمر امتدّ لأكثر من قرنٍ حتى أمكن إيصال الحقوق المستحقّة إلى كلّ المواطنين الأميركيين، وهي الحقوق ذاتها التي نطالبُ اليوم بإيصالها إلى بلادٍ أُخرى، ثم إنه يكون علينا إنجازُ المساواة الحقيقية لكل أبناء شعبنا، في هذا البلد الشاسع الذي تزدادُ تعدديتُه؛ لكننا نستمرُّ في المحاولة.

إنني أعلم أنّ بعضاً منكم- مثل الشباب في كلّ البلدان- يتوقون للتغيير، أو لنقل التغيير في إدارة الشأن العامّ، وذلك من مثل المزيد من حكم القانون، والمزيد من حريات التعبير، وهذه الأفكار هي أفكارٌ كبيرةٌ ومثالية؛ لكنْ إن أردتم أن تروا ما تُعانيه الأفكار والحقوق

الأساسية حتّى في الولايات المتحدة فتابعوا النقاشات الهائلة التي جرت حول قانون العناية الصحية، وهو النقاش المَعْنيّ بهل يجبُ على الحكومة أن تسهّل حصول كل المواطنين على رعايةٍ صحيةٍ معقولة؟! وهذا يدلكم على أنّ الأميركيين أيضاً ما يزالون يناضلون من أجل إنجاز بعض الحقوق الأساسية، وإنه لأمرٌ غريبٌ في نظري أن يجري مثل هذا النقاش في أغنى دولةٍ في العالم!

وإذا كانت التجربة قد علمتْنا شيئاً؛ فهو أنّ التغيير مصيرٌ لا بُدَّ منه، وهذا حتى لو لم يكن بالإمكان معرفة الشكل الذي سيبدو عليه؛ انظروا كم من التغيير طرأ في بلادكم في العقود الأخيرة، فقد تحولت بلادُكم من ناحيةٍ منعزلةٍ إلى الدولة الأكثر حداثة وانفتاحاً في الإقليم. إنّ بلدينا -اللذْين تسودُ علاقاتُ الصداقة فيما بينهما منذ زمنٍ طويل- شريكان في مُعاهدةٍ للتبادُل التجاري الحر، وقد حقّقتم خطواتٍ واسعةً وتقدماً في التربية وفي الصحّة والبُنى الأساسية، ورغم أنكم بلادٌ عريقةٌ في تراثها الثقافي والسياسي؛ لكنكم دولةٌ فتيةٌ بمقاييس أعمار الأكثرية من أبناء شعبكم. ولا شكّ أنّ أفكاركم تختلف عن أفكار آبائكم وأجدادكم، وكذلك الأمر بشأن الأجيال الشابة التي لا تملك التوقعات ذاتها التي يملكها جيلنا، وهكذا فإنكم سترون تغييراً كبيراً في حياتكم، وكذلك الأمر بالنسبة لأطفالكم وأحفادكم.

فماذا نستطيع أن نفعل إذن لتقوية العلاقات بين الولايات المتحدة وعُمان؟

لكي أُمهِّد للإجابة عن هذا السؤال، فكّرت بالنظر إلى الإنجيل والقرآن من أجل الاستلهام؛ لكنْ لأنني قاضيةٌ سابقة، ولستُ متخصِّصة بالدين؛ فسَوف ألجأ لبعض تجاربي في القضاء بحثاً عن الاندفاع والإلهام.

قبل سنوات كان رجل أعمالٍ أميركي شاب وناجح يسرع بسيارته الجديدة عابراً أحد شوارع المدينة، وفجأةً أصاب حجرٌ جانب السيارة مُنزلاً بها أضراراً، وأوقف الرجل سيارته على عجل، وسارع للقبض على تلابيب الصبي الذي رمى الحجر، والذي كان واقفاً إلى جانب سيارةٍ متوقفة على جانب الطريق، وهدَّد الرجل الصبيَّ وتوعَّده، وقال: إنها سيارةٌ جديدة، وستكلّفك فعلتُك الكثير من المال! وتوسَّل الصبيُّ قائلاً: أرجوك يا سيدي لا تفهمني خطأً، إنه أخي الصغير الذي كان في العربة الصغيرة التي أدفعُهُ بها، وراء هذه السيارة المتوقّفة، لكنّ العربة انقلبت به وما استطعتُ رفعَهُ، ولا استطعتُ إيقاف أحدٍ لمُساعدتي إلاّ بهذه الطريقة! كان الصبي يقولُ ذلك ودموعه تنهمر على خَدَّيه، وتغير مزاجُ رجل الأعمال، وسارع إلى مساعدة الصبي على إعادة شقيقه الطفل إلى عربة الصبْية، ثم نظر إليه وهو يدفعُ عربة أخيه مسروراً، وكأنّ شيئاً لم يحصُلْ! وللأسف؛ فإنّ هذه القصة تحدث دائماً. فدون معرفة كلّ الوقائع نسارع لإصدار الأحكام على الأشخاص والوقائع، فالمسيحيون يصدرون أحكاماً جائرةً على المسلمين، بسبب قلة المعرفة، وكذلك المسلمون تُجاه المسيحيين، وباعتباري قاضية سابقة فأنا أملك قصصاً ووقائع لا تُحصى عن أشخاصٍ نزل بهم الأذى بسبب أحكامٍ جائرةٍ صدرت بحقّهم وما استطاعوا الدفاعَ عن أنفُسهم بطرقٍ ملائمة. وهذه مأساةٌ يكون علينا -باعتبارنا مجتمعات إنسانية- أن نعمل على

منعها. نعم، يكونُ علينا أن نكونَ حريصين في الحكم على الآخرين، وهذا الحرصُ لا يتناولُ الأعمالَ وحسْب؛ بل ويتناولُ الأحكام الأخلاقية؛ لأنّ القيم والعادات تختلف. كما أنّ الحرصَ يتناولُ النوايا والدوافع، أو أننا نضعُ أنفُسَنا في مواضعهم دونما وعيٍ كاشف.

ويمكن هنا السؤال: كيف ومتى إذن يمكن الحكم على الآخرين؟ وأنا أُجيب: إنّ علينا أن نفعل ذلك بعنايةٍ وحذرٍ شديدَين؛ ذلك أننا جميعاً وبمعنىً ما نعيش في العائلة نفسها، وفي رأيي فإنّ العيشَ في عائلةٍ واحدةٍ يعني المسؤولية المشتركة أو المتبادَلة؛ لكنّ ذلك يعني أيضاً العمل معاً بروحٍ من التسامح والرحمة، فعندما يخُطئُ أحدٌ في مجالٍ ما، يكون علينا أن نُرجئ الحكم عليه إلى الله، في الوقت الذي نُنجز فيه واجبنا في نشر التعاطُف والرحمة والتسامُح والحبّ؛ لأننا إنْ لم نقُم بذلك فهذا يعني أمرين؛ **الأول** أننا نواجهُ حكم الله ومقاصده ووسائله في دفع البشر باتجاه المراجعة والتوبة، من خلال العطف والتسامُح والصبر. وفي الحقيقة نحن نقول: يا إلهي ما دمتَ تُمهل وتتأنّى في تأديب هذا المخطئ؛ فإنني أُريدُ المساعدة في ذلك. و**الأمر الثاني** أننا إنما نختزن غضباً تُجاه أنفُسنا؛ لأنه كما تُدين الآخرين؛ فإنّ الآخرين سوف يُدينونك.

إنّ الحكم على الآخرين بمقاييس أقلّ قسوة يعني إعطاء الحرية لهم للموافقة أو الاعتراض في القضايا الخلافية، إنه السماحُ للآخرين بتكوين قناعاتهم، وكيف سيتّبعون أديانهم. وبعد كلّ حديث فإنّ العلائق داخل العائلة تقومُ على الحبّ وليس على الأحكام، وعلى سبيلِ المثال فإنَّ الرجل الذي لا يأكل كل شيء، لا يحق له النظر بدونية إلى الذين يأكلون كلّ شيء، كما أنّ الشخص الذي لا يعتبر هذا اليومَ أو ذاك مقدَّساً، لا يحقُّ له الاعتراض على الآخرين الذين يعتبرونه كذلك. وبشكلٍ عامٍّ فإنّ من حقّ الآخرين أن يعتبروا هذا الأمر محقاً أو مبطلاً، وليس من حقّهم الحكم على تصرفات الآخرين بالمنظار نفسه، وللمفارقة؛ فقد تعلّمْتُ في القضاء أنه ليس من ضمن مهنتي أو صلاحياتي الحكم بالإدانة أو التبرئة على الأشخاص بسبب آرائهم وأعمالهم في القضايا الخلافية، وقضايا الضمير، لماذا؟ لأننا جميعاً سوف نقف أمام الله، وكُلٌّ منا سوف يكون مسؤولاً وحده عن أفعاله، والقاضي هو الله سبحانه، ودوري في هذا الأمر -وربما كان دَورَ كلٍّ منا- أن ينصبَّ الجهَدُ على تجنُّب الإضرار بالآخرين؛ وبخاصةٍ إذا كان السبب أنهم لا يوافقون على آرائي!

وفي سنوات خدمتي على منصّة القضاء تعلمتُ عدم التسرُّع في الحكم على أفعال الآخرين، إلى أن نتعرف على دوافعهم، وأُوردُ هنا مثالاً على ذلك. فقد كتبت سيدةٌ كانت تعمل مراقبة بأحد محلاّت السوبر ماركت إلى أحد ناشري الرسائل في صحيفةٍ محلية تشكو من أنها رأت أُناساً يشترون سلعاً فاخرة مثل الحلويات واللحوم بأموال الإعانة الحكومية، وتابعتْ صاحبة الرسالة أنّ هؤلاء الذي يعيشون على أموال الإعانة الحكومية هم من الكُسالى والمهملين. وبعد أسابيع نشر المشرف على الصفحة إجاباتٍ وردوداً على رسالة المرأة ودعواها، وقالت إحدى المُجيبات: ما اشتريتُ حلويات؛ بل اشتريتُ طبقاً من لحم الخروف بالفعل، فقد كان المصنع الذي عمل فيه زوجي لخمسة عشر عاماً قد أُقفل،

وصار عاطلاً عن العمل، وكرهت في عيد زواجنا الثلاثين ألا يكونَ على مائدتنا لحم، وقد أكلْنا منه ثلاثة أيام! وربما سيتغير رأي العاملة بالسوبرماركت لو أنها مشت في حذائي ميلاً- أو قلّ! وقالت امرأةٌ أخرى: أنا السيدة التي اشترت حلويات بـ17 دولاراً من أموال الإعانة الحكومية، وقد لاحظت أنّ المُراقبة بالسوبرماركت تكاد تأكلني بعيونها؛ لكنّ ما اشريتُهُ من حلوى كان لعيد ميلاد ابنتي الصغيرة، وسيكون عيدها الأخير؛ لانّ عندها سرطاناً بالعظام، ربما ذهبت خلال ستة أو ثمانية شهور!

إنه لا سبيل لأيٍّ منا لمعرفة دوافع أيّ شخصٍ أو أهدافه من أول نظرة، ونستطيع أن نوفر الكثير من الجهد والآلام على أنفسنا والآخرين بالتوقف عنِ البحث في الدوافع الخفية، والاستعاضة عن ذلك بالحب والرضا، فالله وحده هو الحَكَم الفصل، وهو يعلمٍ نوايا الناس ودوافعهم، وهو الذي يؤخّر الحكم ليومٍ لا رَيبَ فيه، ويعرفُ الإجابة العادلة على الآثام. ويبقى سؤالٌ أخير: ألا يحقُّ لنا الحكم أبداً على تصرفات الآخرين؟ والجواب: بل إنّ ذلك ممكنٌ، على أن يكونَ نادراً وحذراً ودقيقاً.

وأريد أن أنتهي من حيث بدأْتُ بقصةٍ من زمن الطفولة، لقد كنتُ دائماً قارئةً ممتازة، وحتى عندما كنتُ طفلة كنتُ أحبس نفسي في غرفتي وأقرأ لساعات، ومثل الفتيات من بنات جيلي فقد كنتُ أحبُّ قصص لاورا إنغالز وايلدر، في سلسلة قصصها المسمَّاة: «البيت الصغير»، تقصُّ قصة أسرتها الريفية حوالي العام 1800م، فقد تركوا مثواهُمُ الآمنَ، ومضوا إلى البراري دونما معرفةٍ بما ينتظرُهُم، ودون أن يملكوا غير غطاءٍ يستر بالكاد صندوق عربتهم. وفي أحد أجزاء السلسلة المُسمَّى: «الشتاء الطويل»، تذكر لاورا أنها مرت مع أبيها في عزّ الصيف بجُحْرٍ ضخمٍ لفأر المسْك، وهو حيوانٌ صغيرٌ ونحيلٌ؛ لكنه بنى بيتاً كبير الحجم وكثيف الجدران. وقال الأب لابنته: يبدو أنّ الشتاء سيكونُ قاسياً علينا وعلى سائر الحيوانات، ولذلك بنى الفأر هذا الجُحر الكثيف! وقالت الابنة: كيف يعرفُ الفأرُ ذلك، ولا نعرفُهُ نحن؟! قال الأب: لا أدري كيف يعرف، ربما زوَّده الله بالقدرة على ذلك. أمّا نحن فقد أعطانا الله العقل والحرية، وعلينا أن نتصرف بحسب عقولنا، لكنْ تبقى لنا حرية الاختيار، فنحن مسؤولون عما يصيُبنا إن فعلْنا ما هو غير مُلائمٍ لسلامتنا أو سلامة الآخرين!

لقد تحدثتُ كثيراً، والذي أراه في النتيجة أنّ علينا السعي بجهد لكي لا يصدر أحدنا على الآخر أحكاماً غير ملائمة. وهذا الأمر يؤدّي إلى تقوية علاقتنا التي ينبغي أن تقومَ على التفاهُم المتبادَل والاحترام، كما أنّ علنيا أن ندعم تلك العلاقة بقيم العدالة والتقدم والتسامح والكرامة الإنسانية. ولنكن ماهرين جداً في تجنُّب المشاعر السلبية، مشاعر الغضب، وانعدام الثقة، والاستخفاف، والعنف، فكما تخبرنا القصة، لدينا ضميرٌ وعقل، وإذا اتبعناهما فإنهما سوف يقوداننا إلى حيث ينبغي أن نكونَ ونبقى معاً.

****

*) باحثة من أمريكا وقاضية سابقة.